

ثنائية الجسد والروح بين الفلسفة والدين الاسلاميين

أ/د. عبد القادر سلامي

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب واللغات

جامعة تلمسان

ص ب 36/ك، حي الكرز - تلمسان - 13000 -

البريد الإلكتروني: skaderaminaanes@gmail.com

*ملخص:

لما كانت الأخلاق والنواميس الفلسفية الإسلامية تعني بالروح والمادة، وهذا حق يتمكن به الإنسان من تأدية الدور الذي أسنده الله إليه في الأرض على أحسن وجه، فإنّ الدراسة الموالية تسعى إلى الوقوف على ثنائية الجسد والروح من منطلق الفلسفة والدين مع ما يستلزم ذلك من فكّ التعاضل بينهما وبين النفس والجسم والبدن، ومدى التلازم الحاصل بينهما.

Résumé

La morale et les universaux philosophiques islamiques sont à la fois concerné par l'esprit comme par la matière, auquel l'homme ait le droit de jouer son rôle qui lui est assigné par le Bon Dieu et cela dans des meilleures conditions. La présente étude vise à explorer la dichotomie de l'esprit et le corps à partir de principes philosophiques et religieux, avec tout ce qu' implique les nuances sémantiques qui peuvent exister entre l'âme, le corps et le corpus, et la mesure de la corrélation entre ces termes.

Abstract

Since Islamic morals and philosophic universals are both concerned with spirit and matter, which is a right to which man is entitled to perform his role assigned to him by God in the best of ways, the present study seeks to explore the dichotomy of spirit and body from philosophical and religious principles, with all that this entails to break the tie between the soul, the body and the corpus, and the extent of the correlation between them.

1- بين يدي الجسد والجسم والبدن:

لقد وردت هذه الكلمات الثلاث في القرآن الكريم، في سبعة مواضع، (الجسد أربع مرّات) و (الجسم مرّتين)، و(البدن مرّة واحدة). واختلف علماء اللغة في معانيها وفي أيّها يدلّ على جسم الإنسان.

فقد ارتبط الجسد في المعجم العربي بمعنيين هما الجسم والبدن. والحقّ أنّ أغلب هذه المعاني معاني مشتركة، وإن كانت في الوقت نفسه تتفرّد بدلالات خاصة تميزها عن المعاني الأخرى، إلا أنّ الجسم ارتبط كثيراً بالجسد، و لعل هذه المفردة هي التي تؤدي المعنى على أحسن وجه، فالمعاني الأخرى تحوي معنى الجسد و لكنها لا تشمله.

فالجسد ارتبط بـ"جسم الإنسان، ولا يقال لغيره من الأجسام المغتذية، ولا يقال لغير الإنسان جسد من خلق الأرض"¹، وقيل: يقع على ما لا يعتدي من الجماد، وقيل: يقع لغير وعلى غيره²، ولكن القرآن الكريم وصف عجل بني إسرائيل بأنه جسد: ﴿فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار﴾³، أي ذا جثة، على التشبيه بالعقل وبالجسم⁴، وقيل: "الجسد كلّ روح تمثل بتصرف الخيال المنفصل، وظهر في جسم ناري كالجن أو نوري كالأرواح الملكيّة والإنسانية"⁵. فيطلق على الإنسان والملائكة والجن ولا يقال لغيرهم.⁶

أمّا الجسم، فهو: الجسد⁷ من "جسم يحسم حسامة": عظم، فهو جسيم، والجمع، جسام. والجسم كل شخص يدرك من الإنسان والحيوان والنبات.

على أنّ البدن هو الجسد، يقال اعتباراً بعظم الجثة، ومنه امرأة بادن وبدين عظيمة البدن.⁸ وبدن الإنسان: جسده. والبدن من الجسد: ما سوى الرأس والأطراف وبدن الرجل وبدن، يبدن بدنا، وبدانة، فهو بادن ومبدن إذا ضخم، وامرأة مبدنة. والبدن: السمن والاكتناز، ومنه: البدنة من الإبل والبقر تسمى بدنا اعتباراً بعظم الخلق، والجمع: بدن وبدن.⁹ يقول تعالى: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾.¹⁰ وسميت البدن بذلك لأنهم كانوا يستمنونها للنحر. ولقد تقارب معنى البدن مع معنى الجسم في التعبير عن عظم الخلق، ولكنهما اختلفا في معنى دقيق، من حيث كون البدن عظم الجثة بأجمعها مع انقطاع الروح، أما الجسم فهو عظم الأجزاء والأعضاء من الأحياء كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾¹¹ وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تَعَجَّبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾¹²، وليس في البدن شيء من ذلك، فلا يمدح الرجل على أنه بدين، في حين يثنى عليه في أنه جسيم.¹³

وعلى هذا فإن الجسد لفظ عام، وهو مصطلح ذو شقين: الجسم و البدن، وقد يتداخل الشقان أثناء عملية الشرح، فنضطر إلى التعامل مع الجسم على أنّه مرادف للجسد.

أمّا في المعجم الغربي، فإنّ الجهل بالجسد يجعل العديد من الأشخاص يخلطون بين مفهومين هما: "الجسد" و"الجسم". فالجسد هو ما عبّرت عنه اللغة الألمانية بعبارة "leib" اللحم.. ويوجد بالألمانية كذلك لفظ Korpor كوربر والمستعمل في الفيزياء أي: الجسم" وكلمة Leib.¹⁴ إذن هي مفهوم جامع بين الحقيقة الفيزيائية والعقلية والتي هي نحن أي جسدا (le corps est indissociable de la réalité physique et spirituelle) ¹⁵ (qui est la notre.

أمّا الجسم (الجسد) عند الفلاسفة المسلمين، فيتصدّره قول المعتزلة المتكلّمين فـ"الجسم عندهم المجتمع من الجواهر طولاً وعرضاً وعمقاً".¹⁶ وعلى هذا فـ"الأجسام مؤلّفة من أجزاء لا تتجزّأ، وهي الجواهر عندهم".¹⁷ ويبدو أنه كان للنزعة المادية التي اتسمت بها الطبيعيات الرواقية أكبر الأثر في مفكري الإسلام عامة والمتكلمين خاصة وقد رأينا ان الرواقين عدّوا الموجودات الحقيقية أجساماً فتأثّر فريق من المسلمين بهذا المذهب ولم يقنعوا بالمعنى الشائع للجسم وهو المقدار ذو الأبعاد الثلاثة التي هي الطول والعرض والعمق،¹⁸ بل قالوا: إنّ "الجسم هو القائم بنفسه وكل قائم بنفسه هو جسم".¹⁹

ولا شك ان هذا التوسع في فهم معنى الجسم يقترب من الفهم الرواقي بل نجد عند بعض المتكلمين التحسيس الرواقي الخالص مثال ذلك قول هشام بن الحكم: "معنى الجسم انه موجود، وكان يقول: انما اريد بقولي جسم، انه موجود وانه شيء، وانه قائم بنفسه".²⁰ وفحوى مذهب جهم بن صفوان انه هناك جسم ولا جسم أما الجسم فهو الموجودات كاهما واللاجسم هو الله فقط".²¹

كما ذهب الى فكرة جسمية الحركات و الكيفيات بعض الفرق الإسلامية اولاهها: الجهمية حيث زعم جهم بن صفوان ان الحركات أجسام".²² فقد حكى زرقان عن الجهم انه كان يزعم ان الحركة جسم، ومحال ان تكون غير جسم، لان غير الجسم هو الله سبحانه، فلا يكون شيء يشبهه²³ ويستفاد من هذا ان الجسيم لدى الجهم قد امتد الى جميع الموجودات تناغماً كما هو الشأن عند الرواقية إلا انه قد خالفهم في نفي الجسمية عن الله. أمّا الفرقة الأخرى، التي أسرفت في التحسيس، فهي فرقة الشيعة، فكان بعض متكلميهم كهشام بن الحكم وهشام الجواليقي، ويونس بن عبد الرحمن القمي، يُجسّمون".²⁴

2- بين يدي الروح والنفس:

"الرُّوحُ" و"الرَّيْحُ" و"الرَّوْحُ": من أصلٍ واحدٍ اكتنفته معانٍ تقاربت، فبُني لكلٍّ معنى اسمٍ من ذلك الأصل، وخولفَ بينهما في حركة البنية²⁵ ويدلُّ على سَعَةِ وَفُسْحَةِ واطِّرَادِ. وأصل ذلك كُلُّهُ الرَّيْحُ، وأصل الياء فيها الواو، وإنّما قُلِبَتْ ياءٌ لكسرةٍ ما قبلها. فالرُّوحُ: النَّفْسُ الذي يحيا بها بَدَنُ الإنسان، وإنّما هو مشتقٌّ من الرَّيْحِ . والرَّوْحُ: نَسِيمُ الرَّيْحِ. ويُقال: أَرَّاحَ الإنسانُ، إذا تنفَّسَ أو إذا رجعت إليه نفسه بعد الإعياء. وأَرَّاحَ القومُ: دخلوا في الرَّيْحِ كذلك. والرَّوَّاحُ: العَشِيُّ؛ وسمي بذلك لروحِ الرَّيْحِ، فإنّها في الأغلب تهبُّ بعد الزَّوال. والمَرَّوْحَةُ: عَمَلان في عَمَلٍ واحدٍ، ذاك مرّةً وهذا مرّةً. والأرَّوْحُ: الذي في صَدْرَيْ قدميه انبساطٌ. والرَّوْحُ: اتَّسَاعٌ ما بين الفَخَذَيْنِ. وقصعةٌ رَوْحَاءُ: قريبة القَعْرِ.²⁶

أمّا من حيث دلالتها المجردة، فإنّ ابن دريد ذكر أنّ الرُّوحَ ممّالا ينبغي تفسيره، لأنّه جلّ ثناؤه قال: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾.²⁷ وذكروا أنّ بعض أهل العلم سئل عن ذلك فقال: أَجْهَمَ مَا أَبْهَمَ اللَّهُ.²⁸

والروح: هي النفس و الجمع الأرواح. قال أبو بكر الأنباري (ت 328 هـ): الروح و النفس واحد، غير أن الروح مذكر و النفس مؤنثة عند العرب . و في التنزيل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾²⁹ و تأويل الروح أنه ما به حياة النفس، قال الفراء (ت 207 هـ): و الروح هو الذي يعيش به الإنسان ، لم

يخبر الله تعالى به أحد من خلقه و لم يعط علمه العباد، وسمع أبو الهيثم يقول: الروح إنما هو النفس الذي يتنفسه الإنسان و هو جار في جميع الجسد فإذا خرج لم يتنفس بعد خروجه.³⁰

والجدير بالذكر هنا أنّ ابن سيده (ت 458هـ) يرى أنّ بين الروح والنفس فرقاً، غير أنّه لم يزد على ذلك؛ لأنّه كما قال أمّراً لا يليق بكتابه.³¹ وهو سكوت لا يلغي دلالات الروح المجردة في شيء. فهي عند من يرى فيها خلاف النفس²¹: عبارة عن جسم بخاري منشؤه القلب، وهو منبع الحياة والنفس، أي روح الأجسام الذي يقبضه الله عند الممات.³² وقد ذكر سيف الدين الآمدي (ت 631هـ) أنّ النفس: "عبارة عن كمال لكل جسم طبيعي من شأنه أن يفعل أفعال الحياة"²⁴ والروح: جبريل عليه السلام، وملك عظيم من ملائكة الله يقوم وحده فيكون صفّاً وتقوم الملائكة صفّاً، وكلام الله، ورحمته، والمسيح عليه السلام روح الله تعالى. وهي المعاني في أقواله عز وجل على الترتيب: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين﴾³³ و: ﴿يوم يقوم الروح والملائكة صفّاً﴾³⁴ و: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾³⁵، وقال: ﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه﴾³⁶، وقال: ﴿والتي أحصنت فرجها فنفتحنا فيه من رُوحنا﴾.³⁷ وعلى هذا، فالروح والنفس واحد، غير أن الروح مذكر و النفس مؤنثة عند العرب أو لعلها ملتقى الروح مع الجسد .

أمّا من حيث المنظور الفلسفي، فلعل هناك خلط بين مفهوم النفس والروح، وهذا راجع إلى الفلاسفة

الإسلاميون حينما تأثروا بالفلسفة اليونانية من خلال الترجمة في العصر العباسي.

ففي تعريف الروح نجد "المعتزلة" يعدونها من الغيبات. و"الأشاعرة" يعدونها عرضاً وهي الحياة، وليست بجسم ولا بجوهر ولا هي النفس.

ويعرفها "أبو يعلى الحنبلي" على أنها ريح يتردد في مخارق البدن. وأنها وراء هذا الجسد، وأنها مكلفة، منعمة، معذبة، وليست بجوهر، ولا بعرض، ولا هي الحياة، لأن الحياة عرض بها يحيا الإنسان كالقدرة التي بها يقدر، والعقل الذي به يعقل.³⁸

فهل النفس والروح شيء واحد أو شيئان مختلفان تماماً؟

يقول الفيلسوف أبو نصر محمد طرخان بن أوزلغ الفارابي (259هـ - 339هـ) في كتابه "الثمرّة المرضية" إن الروح الذي لك من جوهر عالم الأمر، ولا يتعين بإشارة ولا يتردد بين سكون و حركة، فلذلك تدرك المعلوم الذي فات و المنتظر الذي هو آت وتسبح في عالم الملكوت وتنشقش من خاتم الجبروت³⁹ وهو نص صريح يفرق به بين عالمين عالم الروح وعالم الجسد.

ويرى أهل الحديث والفقه والتصوف أن الروح ليست هي النفس. يقول: أبو عبد الله بن منده (310 - 395هـ): "ثم اختلفوا في معرفة الروح والنفس، فقال بعضهم: النفس طينية نارية، والروح - نورية روحانية. ومن الأقوال أيضاً نجد: الروح لاهوتية والنفس ناسوتية. وقالت طائفة من أهل الأثر: إن الروح غير النفس، والنفس غير الروح، وقوام النفس بالروح، والنفس صورة العبد، والهوى والشهوة والبلاء معجون فيها، ولا عدو أعدى لابن آدم من نفسه، فالنفس لا تريد

إلا الدنيا، والروح تدعو إلى الآخرة، وجعل الهوى تبعاً للنفس، والشيطان تبع النفس والهوى، والملوك مع العقل والروح، والله يمدّهما بإلهامه.⁴⁰

كما حاول الفارابي التوفيق بين تعريف كل من أفلاطون (427 - 347 ق.م) وأرسطو (384-322 ق.م) للنفس "فمن جهة يقول كأفلاطون: إن النفس العاقلة هي جوهر الإنسان عند التحقيق وأنها لا تنفك بقاء البدن، وإن المعرفة الحقة هي سبيل الصعود إلى العالم العلوي لكنه يقول من جهة أخرى تبعاً لأرسطو - في توفيق مضطرب⁴¹ - بأن" النفس صورة وكمال للبدن وإنها لا توجد قبله، وإن المادة هي سبب الاختلاف بين أفراد النوع الواحد".⁴²

ولئن وصف الغزالي في الروح " باللطيفة الربانية الروحانية؛ فإن هذه اللطيفة على علاقة مع القلب الجسماني، وقد تحيرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقتهما، فإن تعلق الروح بالقلب يضاهي تعلق الأعراض بالأجسام والأوصاف بالموصوفات، أو تعلق المستعمل للآلة بالآلة، أو تعلق المتمكن بالمكان.⁴³

وعلى هذا فطبيعة الروح التي هي الطبيعة الإنسانية للإنسان، إنها "اللطيفة الربانية التي تحل في الجسم وتقيم فيه، ونعبر عنها بعبارات مختلفة حسب حياتها وأعمالها المختلفة في البدن. لكن اللطيفة نفسها التي يشير إليها أي من هذه العبارات هي فوق مستوى الفهم العادي. فهي من عالم الأمر، ولذلك تتحدى أي تعريف أو وصف. وعلى الإنسان أن يكتشف طبيعتها بنفسه وبمفرده. ويلجأ الغزالي أحياناً إلى الإستعارات، وأخرى إلى التشبيه، وثالثة إلى التعابير عندما يتحدث عن الروح".⁴⁴

أمّا الإمام أبو حامد الغزالي (350هـ-505هـ)، فيحدث فرقاً بين النفس والروح: "فالنفس لديه هي ذلك الجوهر الذي يجمع بين العالمين، وهما عالم العقل أي العالم الإلهي وعالم الحس أي العالم المادي. وقد وصف الغزالي هذين العالمين على نحو قريب جداً مما فعل أفلاطون، بل ذهب إلى أن العالم الثاني ظلّ وخيال للعالم الأول، إذ يقول أن الرحمة الإلهية جعلت عالم الشهادة على موازنة عالم الملكوت، لأنه لا يوجد شيء في العالم الأول إلا وهو مثال لشيء من ذلك العالم وربما كان الشيء الواحد مثلاً لأشياء من عالم الملكوت، وربما كان للشيء الواحد من عالم الملكوت أمثلة كثيرة من عالم الشهادة".⁴⁵

وهاهو الفيلسوف الطبيب أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا (370هـ - 348هـ) -الذي يعد إمام فلاسفة المسلمين في دراسة النفس - يقيم الأدلة الكثيرة على وجود النفس وعلى خلودها بعد الموت فيقول: "تأمل أيها العاقل في أنك اليوم في نفسك هو الذي كان موجوداً في جميع عمرك، حتى أنك تتذكر كثيراً مما جرى من أحوالك. فأنت إذاً ثابت مستمر لا شك في ذلك، وبدنك وأجزاءه ليس ثابتاً مستمراً، بل هو أبداً في التحلل والانتقاص. ولهذا يحتاج الإنسان إلى الغذاء بدل ما تحلل من بدنه... فذاتك مغيرة لهذا البدن وأجزائه الظاهرة والباطنة. فهذا برهان عظيم يفتح لنا باب الغيب، فإن جوهر النفس غائب عن الحس والأوهام"⁴⁶ كما يقول أيضاً "كما يقول أيضاً: "... لو كانت القوة الناطقة قوة جسمانية لكان لا يوجد أحد من الناس (على مر السنين) إلا وقد أخذت قوته تنقص، ولكن الأمر في أكثر الناس على خلاف هذا. بل العادة جرت في الأكثر أنهم يستفيدون ذكاء في القوة العاقلة وزيادة بصيرة. فإذاً ليس قوام القوة المنطقية بالجسم والآلة، وإذاً هي جوهر قائم بذاته".⁴⁶

3- ثنائية الجسد مع الروح :

يتألف جسم الإنسان من مجموعة من الأعضاء الظاهرة وغير الظاهرة، ولكل عضو منها وظيفة خاصة به، أو أكثر، وأهم هذه الوظائف الوصول إلى الله تعالى، و"ما من عضو من الأعضاء ولا حاسة من الحواس إلا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول إلى الله تعالى فمن استعمله فيه فاز، ومن عدل عنه فقد خسر وخاب"⁴⁷، ففي القلب - الذي يقع وسط المملكة الجسم - يستقر ما يدرك الإنسان من الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر، وتجري بقية الأعضاء مجرى خدمه وكتابه، فيجري اللسان مجرى ترجمانه، والحواس الخمس مجرى جواسيسه، وتوكل العين بعالم الألوان، والسمع بعالم الأصوات، والشم بعالم الروائح⁴⁸، وتكون الأعضاء الظاهرة والباطنة وقواها، جندا من أجناد القلب.

إن الإنسان هو محور القرآن، وهو الذي اختاره الله تعالى من دون خلقه، ليستخلفه في الأرض ويحمّله الأمانة، فحملها، ولا عجب بعد ذلك أن يكون كل ما في القرآن الكريم متعلّقا بالإنسان. ولقد بعث الله تعالى إليه رسلا وأنبياء -في مجال العقيدة- يدعونه إلى توحيده سبحانه، وعبادته وعدم الإشراك به، وجعل من شريعته نظاما ومنهاجا يعرف به موقعه في الكون، ويدرك طبيعة علاقاته فيه، مع الله تعالى، ومع الخلق، ومع نفسه.

إنّ الإنسان جسم وروح، خلق أولا ثم نفخ فيه، نفخ الله تعالى فيه من روحه، فجمع بين عنصرين اثنين، عنصر أرضي مادي، وآخر سماوي إلهي مقدّس. فلا طاقة لنا بالبحث في أمر الروح، ولا قبل لنا بها. أما الجسم، فهو ذو أهمية كبيرة لكل إنسان لأنه يحقق وجوده الحيائي والاجتماعي، ويظهر ذلك من خلال أجهزته المختلفة ووظائفها المتنوعة. إنّ وعي الذات يتمثل في اعتبارها كيانا جسيما يتحيز ويتحرك، فالإنسان لا يعرف هويته إلا بجسمه الذي ينبعث منه هذا الشعور بالهوية ويعطيه التفرد الخصوصي. إنه في المقام الأول مساحة جسمية في مكان، وله في مقام آخر هويته المعنوية التي يستمدّها أيضا من الجسم بصفات مثل: الكرم والبخل، والشجاعة والجبن، والحلم والتهور وحسن الطبع وسوء الطبع.⁴⁹

لقد أقام الفيلسوف الطبيب أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا البراهين على أن الصلة بين الروح والجسد صلة عرضية فلا يؤدي فناء الجسد إلى فناء الروح. ففي رسالة النفس الناطقة وأحوالها يقول: "اعلم أن الجوهر الذي هو الإنسان في الحقيقة لا يفنى بعد الموت، ولا يبلى بعد المفارقة عن البدن بل هو باق لبقاء خالقه تعالى. وذلك لأن جوهره أقوى من جوهر البدن، لأنه محرك البدن ومديره ومتصرف به. والبدن منفصل عنه تابع له. فإذا لم يضر مفارقتها عن الأبدان وجوده".⁵⁰ إلى أن يقول: "ثم إنّ الإنسان في نومه يرى الأشياء ويسمعها، بل يدرك الغيب في المنامات الصادقة بحيث لا يتيسر له في اليقظة. فهذا برهان قاطع على أن جوهر النفس غير محتاج إلى هذا البدن، بل هو يضعف بمقارنة البدن ويقوى بتعطله. فإذا مات البدن وخرب تخلص جوهر النفس عن جنس البدن".⁵¹

فالإمام الغزالي يرى أن الجسد منزل أو مسكن للروح، وأنها تحل به لعناية إلهية، أي تزود لآخرتها من هذا العالم، وتظل في ذلك الجسد لمدة محددة لا تقبل زيادة ولا نقصاً ثم ينقضي أجلها. ويقرر أيضاً أن سعادة الإنسان لا تكمل إلا بعد الموت. وفي رسالته إلى ملكشاه السلجوقي (447-485هـ) يقول: "وهناك تختلف حظوظ الناس منها، فإن النفوس التي تشغل بالبدن فيلهيها ويصرفها عن الشوق وعن طلب الكمال الذي قدر لها، وعن الشعور بلذة هذا الكمال، لا

تستطيع التخلص بعد الموت مما لحقها من ثقل البدن وشهواته... وتجد أن هناك نوعاً عظيماً من التضاد بين العالم الذي غادرته والعالم الذي انخرطت في سلكه، وحينئذ يشتد الأذى. ومع ذلك فإن هذا الأذى لا يدوم أبداً الدهر لأنه لم يكن ذاتياً بل يرجع إلى أسباب عارضة. والنفس تتمحي ذنوبها شيئاً فشيئاً حتى تصفو وتترك هذه السعادة التي قدرت لها".⁵² كما قال الغزالي بأن البعث معناه إيجاد لمثل ماكان لا لعين ماكان وإن جمع جميع الأجزاء محال ليس ضرورياً حتى يحتج باستحالته".⁵³

أمّا فيلسوف قرطبة القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد (525-595هـ)، وهو أبعد فلاسفة الإسلام ذكراً وفي نفس الوقت يعد من أكبر شراح أرسطو، فيقول متهاقناً: "إننا ندرك النفس وأشياء كثيرة، ولا ندرك حدها. ولو كنا ندرك حد النفس مع وجودها لكنا نعلم ضرورة من وجودها أنها في جسم أو ليست في جسم؛ لأنها إن كانت في جسم كان الجسم ضرورة مأخوذة في حدها، وإن لم تكن في جسم لم يكن الجسم مأخوذاً في حدها. فهذا هو الذي ينبغي أن يعتقده".⁵⁴

وانحاز ابن رشد صراحة للإمام الغزالي قائلاً: "وما يقوله هذا الرجل جيد.. ولا بد في معاندتهم أن نوضح أن النفس غير فانية كما دلت عليه الدلائل العقلية والشرعية. وأن يوضح أن التي تعود هي أمثال هذه الأجسام التي كانت في هذه الدار لا هي بعينها، لأن المعدوم لا يعود بالشخص".⁵⁵ فهو يتحدث عن الجسد الأثري، وهو مثل الجسد المادي، وهو الذي يعود بالنفس إلى الدار الأخرى؟ (الإنسان روح لا جسد؟)

على أنّ من يمعن النظر في (كتاب الروح) للإمام شمس الدين أبي عبيد الله ابن القيم الجوزية (ت533هـ-1138م) يجد الكثير من البيانات عن أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة والآثار وأقوال العلماء. وفيه يبين كيف أن الأرواح قسمان: أرواح معذبة وأرواح منعمة. فالمعذبة في شغل بما هي فيه من العذاب عن التزاور والتلاقي، والأرواح المنعمة المرسلّة غير المحبوسة تتلاقى وتتزاور وتتذكر ما كان منها في الدنيا، وما يكون من أهل الدنيا. فتكون كل روح مع رفيقها الذي هو على مثل عملها"⁵⁶ ويبين كيف ان الشواهد كثيرة على تلاقي أرواح الأموات وكيف أن الأدلة أكثر من أن نحصيها إلا الله تعالى والحس والواقع من اعدل الشهود فتلتقي أرواح الأحياء والأموات كما تلتقي أرواح الأحياء.⁵⁷ ثم ينتقل ابن القيم إلى ماهية النفس وحقيقتها فيقول: "ما حقيقة النفس وهل هي جزء من أجزاء البدن، أو عرض من أعراضه، أو غيرها؟ وهل الأمارة واللّوامة والمطمئنة نفس واحدة لها هذه الصفات أم ثلاث أنفس؟

وبعد أن يستعرض شتى الآراء في هذه الأمور ينتهي إلى ترجيح الرأي القائل أن الروح جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني غلوي خفيف متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدهن في الزيتون، والنار في الفحم. فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي ذلك الجسم اللطيف مشابكاً لهذه الأعضاء... وإذا فسدت هذه الأعضاء... فارق الروح البدن وانفصل إلى عالم الأرواح. ثم يضيف "وهذا القول هو الصواب في المسألة، وهو الذي لا يصح غيره، وكل الأقوال سواء باطلة، وعليه دل الكتاب والسنة، وإجماع الصحابة، وأدلة العقل والفطرة، ونحن نسوق الأدلة عليه على نسق واحد".⁵⁸

وأما أخوان الصفا "فقد أرجعوا خوف الناس من الموت وكراهيتهم له إلى أن هذا حتى لا تعلم النفوس أن لها وجوداً خلواً من الأجسام، لأنها لو علمت لفارقت أجسادها قبل أن تتم وتكتمل. وإذا فارقت أجسادها تكون مشغولة بتأييد النفوس الناقصة المجسدة لكيما تتم هذه وتكمل تلك وتتخلص من حال النقص وتبلغ حال الكمال وترتقي هذه المؤبدة أيضاً إلى حال هي أكمل وأشرف وأعلى، ﴿وَأَن إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾".⁵⁹

الخاتمة:

إنَّ الأخلاق في الإسلام (ديناً وفلسفةً) مبادئ وقواعد منظمة للسلوك الإنساني التي يحددها الوحي لتحديد حياة الإنسان على نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم على أكمل وجه.⁶⁰ ويكتسي النظام الأخلاقي طابع إلهي مرده الله وأكد ذلك القرآن الكريم الذي حث الإنسان على تطبيقه بقلبه وروحه وإرادته الخيرة الخالصة لوجه الله تعالى وطابع إنساني يتدخل الإنسان في تنظيمه من منطلق اجتهاده بما يوافق روح الإسلام، ضف إلى ذلك أن الأخلاق نظام من

العمل من أجل الحياة الخيرة كطريقة التعامل مع أي كان إنسانا أو حيوانا، ولا تقتصر الأخلاق في الإسلام على الجانب النظري فقط بل هي تكامل بين الجانبين النظري والعلمي. كما أن النظام الأخلاقي ليس جزء من النظام الإسلامي العام فحسب بل إن الأخلاق جوهر الإسلام وروحه السارية في جميع جوانبه، فالنظام الإسلامي عموما مبني على فلسفته الخلقية أساسا ومصادق ذلك قول الرسول (صلى الله عليه و وآله وسلم): (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)⁶¹ فقد قصر النبي المصطفى (صلى الله عليه وسلم) هدف رسالته في هذا الحديث على الأخلاق وأنه جاء ليتمم البناء الأخلاقي الذي بدأت الرسلات السابقة به، كما قال في حديث آخر: (مثلي ومثل الأنبياء كمثلي رجل بنى دارا فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون لولا موضع اللبنة فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء).⁶² وكانت عائشة (ت54هـ) -رضي الله عنها- تفهم هذا المعنى من الدين الإسلامي ولهذا قالت عندما سئلت عن أخلاق النبي قالت: "كان خلقه القرآن". ويؤكد ذلك قول الرسول الكريم (صلى الله عليه و وآله وسلم) أيضا "إن أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا".⁶³

وفي ضوء هذا، يبدو من المؤلف أن يتبادل العقل والجسم - الروح والمادة - تأثيراتهما لأن العقل ليس شيئا مفصولا عن المادة بهوة سحيفة كما كان يتخيل "ديكارت" حين أنكر التأثير المتبادل والقول بمجرد الموازنة، بل إن العقل نفسه ليس إلا صورة مادية عند تصعيدها إلى أعلى من خلال الحركة الجوهرية الأمر الذي لا يعني أن الروح نتاج للمادة وأثر من آثارها، بل هي نتاج للحركة الجوهرية، والحركة الجوهرية لا تنبع من نفس المادة، لأن الحركة (بل كل حركة) خروج للشيء من القوة إلى الفعل تدريجيا - والقوة لا تصنع الفعل، والإمكان لا يصنع الوجود فللحركة الجوهرية سببها خارج نطاق المادة المتحركة، والروح التي هي الجانب غير المادي من الإنسان نتيجة لهذه الحركة. والحركة نفسها هي الجسر بين المادة والروح.⁶⁴

هذا، ولئن اختلفت الآراء في ماهية النفس، وفي أزليتها وحدائتها، وفي جوهرها فهي الروح والقلب والعقل أم الروح شيء والنفس شيء آخر، وفي النفس والجسد، وفي إدراكها وعدمه، وفي ملكاتها الفطرية، إلا أن أصحابها لم يختلفوا في طبائعها، وفي فضائلها ورذائلها، كما أنهم لم يختلفوا في وجوب تربية النفس وتهذيبها على كل محمود، ولم يختلفوا أيضا في وجوب المري العارف بطبائعها وما يليق لها وبها في كل حال. وهو أمر لا يتأني إلا بسلامة النفس الإنسانية التي هي ملتقى الجسد مع الروح.

الهوامش:

- 1- الزاغب الأصفهاني: معجم مفردات ألفاظ القرآن، ص106 مادة (جسد)، وينظر: ابن منظور: لسان العرب 145/3 مادة (جسد)
- 2- ينظر: أبو حيان الأندلسي تفسير البحر المحيط، 277/6.
- 3- طه: 88.
- 4- ينظر: الفيومي: المصباح المنير ص 56-57، مادة (الجسد).
- 5- الشريف الجرجاني: كتاب التعريفات، ص139، مادة (الجسد).

- 6 - ينظر: الفيومي المصباح المنب، ص 56-57 مادة (الجسد)
- 7 - ينظر: ابن منظور: لسان العرب، 146/3 مادة (جسم)، وينظر: أنيس، إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، 1/122. مادة (جسم)
- 8 - المرجع نفسه، 1/49 مادة (بدن)
- 9 - ينظر: المرجع 40/2 مادة (بدن)، وينظر: إبراهيم أنيس و وآخرون: المعجم الوسيط، 1/44 مادة (بدن). و محمد ياس خضر الدّوري: دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، ص 110.
- 10 - الحج: 36.
- 11 - البقرة: 247.
- 12 - المنافقون: 124.
- 13 - محمد ياس خضر الدّوري كدقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، ص 111.
- 14 - ينظر: سمية. بدوع: فلسفة الجسد، ص 11-12.
- 15 - ينظر: Claude Richeler: Le corps et ses fictions 1983, p37.
- 16 - الخوارزمي: مفاتيح العلوم، ص 18.
- 17 - المرجع نفسه، ص 17.
- 18 - عبد الفتاح أحمد فؤاد: الأصول الرواقية في الفلسفة الإسلامية، ص 399.
- 19 - ابن تيمية: تفسير سورة الإخلاص، ص 51.
- 20 - أبو الحسن الأشعري: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، 3/2-4.
- 21 - سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، 1/34.
- 22 - ابن حزم: الفصل في الملل والأهواء والنحل، 5/56.
- 23 - الأشعري: مقالات الشريكين واختلاف المصلين، 2/346.
- 24 - الذهبي: المنتقى من منهاج الاعتدال، ص 34.
- 25 - ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، ص 485.
- 26 - ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، 2/454-456، مادة (روح) و الخليل: العين، 3/291-292، مادة (روح) و ابن دريد: جمهرة اللغة، مادة (روح) و ابن سيده: المخصص، 2/50، (باب أعراض الفخذ) و 2/62، (باب أسماء النفوس) و 10/123، (باب الأرض الواسعة والمطمئنة) و 12/257، (باب العمل والصناعات).
- 27 - الإسراء: 85.
- 28 - ابن دريد: جمهرة اللغة، 2/174، مادة (روح).
- 29 - الإسراء: 85.
- 30 - ينظر: ابن منظور: لسان العرب، 5/462، مادة (روح) وإبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، 1/380، مادة (روح).
- 31 - ابن سيده: المخصص، 2/62، (باب أسماء النفوس).
- 21 - ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، ص 485-486 و الخليل: العين 3/291، مادة (روح).
- 32 - سيف الدين الأمدى: المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين، ص 108-109 وينظر: الخليل: العين، 3/291، مادة (روح). و ابن دريد: جمهرة اللغة، 2/147، مادة (روح).
- 24 - ينظر: سيف الدين الأمدى: المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين، ص 101.
- 33 - الشعراء: 193.
- 34 - النبأ: 38.
- 35 - غافر: 15.
- 36 - المجادلة: 22.
- 37 - الأنبياء: 91.
- 38 - حسن الشقرماني: حقيقة الروح من خلال العلم والدين، ص 86.

- 39- الفارابي: الثمرة المرضية في بعض الرسائل الفارابية، ص71.
- 40 - ينظر: ابن القيم الجوزية: كتاب لروح ص272- 273 .
- 41 - رؤوف عبيد: الإنسان روح لا جسد: ص79.
- 42 - ينظر: محمود قاسم: في النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام، ص75-76.
- 43- ينظر: رؤوف عبيد: الإنسان روح لا جسد، ص82.
- 44- ينظر: المرجع نفسه، ص83.
- 45 الغزالي: مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار، ص45-46.
- 44- رؤوف عبيد: الإنسان روح لا جسد: ص79.
- 46 - المرجع نفسه الصفحة نفسها.
- 47 - أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، 3/12-13.
- 48 - ينظر: المرجع نفسه، 3/13.
- 49 - كريم زكي حسام الدين: الإشارات الجسمية، دراسة لغوية لظاهرة استعمال أعضاء الجسم في التواصل، ص99- 100.
- 50 رؤوف عبيد: روح لا جسد: ص79.
- 51 المرجع نفسه، ص80.
- 52 - محمود قاسم: في النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام، ص225_226.
- 53 - أبو حامد الغزالي: تحافت الفلاسفة، ص36.
- 54 - ابن رشد القرطبي: تحافت التهافت، ص517.
- 55 - رؤوف عبيد: الإنسان روح لا جسد، ص83-84.
- 56 - ابن قيم الجوزية: كتاب الروح، ص17.
- 57 المرجع نفسه، ص20.
- 58 - المرجع نفسه، ص178-179.
- 59 - النجم: 43.
- 60 - أحمد الشرياصي: موسوعة أخلاق القرآن، 1/ص أ.
- 61 - محمد المدعو الرؤوف المناوي: فيض القدير شرح الجامع الصغير، 2/572.
- 62 - مسلم: صحيح مسلم، 15/52.
- 63 الترمذي: سنن الترمذي، 4/122.
- 64 - محمد باقر الصدر: فلسفتنا، ص335-336.

المصادر والمراجع:

أ-العربية:

*القرآن الكريم.

- الآمدي، سيف الدين (1413هـ-1993م): المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين، تحقيق وتقديم حسن محمود الشافعي مكتبة وهبة، ط2، القاهرة.

- أبو حيان الأندلسي (1423هـ-2007م): تفسير البحر المحيط ، تحقيق عدل أحمد عبد الموجود وعليد محمد معوض، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت، لبنان
- أحمد فؤاد، عبد الفتاح (2003م): الأصول الرواقية في الفلسفة الإسلامية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط1، الإسكندرية.
- الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل (1369هـ-1950م): مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محمد محيي الجين عبد الحميد، ط1.
- ابن تيمية، أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الخليم الحراني: تفسير سورة الإخلاص، تحقيق طه يوسف شاهيندار الطباعة المحمدية بالآزهر، القاهرة.
- أنيس إبراهيم و منتصر عبد الخليم والصوالحي عطية، و أحمد محمد خاف الله (دت): المعجم الوسيط، دار الفكر، بيروت.
- ابن حزم الطاهري، أبو علي بن أحمد بن سعيد (دت): الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة ، دار الجليل.
- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (1345هـ): جمهرة اللغة، دار صادر، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بجيدر آباد الدكن، ط1 .
- ابن رشد القرطبي، أبو وليد (1998م): تهافت التهافت ، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
- ابن سيده، أبو الحسن علي (1317-1321هـ): المخصص، المطبعة الأميرية، بولاق، القاهرة
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (1401 هـ -1981م): تأويل مشكل القرآن، شرح السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ط3 ، بيروت.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد (1979م): معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: تأويل مشكل القرآن، شرح السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت، 1401 هـ -1981م.
- ابن القيم الجوزية، شمس الدين أبي عبيد الله (2004م) : كتاب الروح، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال محمد بن مكرم (2004م): لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، ط1، بيروت، لبنان.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة (دت): سنن الترمذي، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت.
- حسام الدين، كريم زكي (2001م): الإشارات الجسمية، دراسة لغوية لظاهرة استعمال أعضاء الجسم في التواصل، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط2. القاهرة، مصر.

- الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الكاتب (1401هـ-1981م): مفاتيح العلوم ، منشورات مكتبة الكليات الأزهرية، ط2، القاهرة.
- الخليل بن أحمد، أبو عبد الرحمن (1980م): العين، تحقيق إبراهيم السامرائي ومهدي المحزومي، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية،
- الدّوري، محمد ياس خضر (1427هـ-2006م): دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان.
- الذهبي، أبو عبد الله، شمس الدين، (1418هـ): المنتقى من منهاج الاعتدال، تحقيق محب الدين الخطيب ، طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد المملكة العربية السعودية ،
- الرّاغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل (1425هـ-2004م): معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق غبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون.
- الرؤوف المناوي، محمد (1306 هـ - 1938) : فيض القدير شرح الجامع الصغير ، ط1، مطبعة مصطفى محمد.
- الشرباصي، أحمد (دت): موسوعة أخلاق القرآن، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان.
- الشريف الجرجاني، عليّ بن محمد الشريف (1424 هـ-2003م): كتاب التعريفات، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت لبنان، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط1.
- الشقرماني، حسن (2005م): حقيقة الروح من خلال العلم والدين، دار الوفاق الدار البيضاء، ط1.
- الصدر، محمد باقر (1989م): فلسفتنا، دار المعارف للمطبوعات، ط15، بيروت، لبنان.
- عبيد، رؤوف (1966م): الإنسان روح لا جسد - بحث في العلم الروحي الحديث -، دار الفكر العربي، ط2، القاهرة.
- الغزالي، أبو حامد محمد :
- * (دت) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، تحقيق سيد عمران، دار الحديث، القاهرة، مصر.
- * (1990م) تهافت الفلاسفة: تحقيق ماجد فخري وموريس بويع، دار المشرق.
- الغزالي، أبو حامد (1908م): مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار ، طبعة مصر.
- الفارابي، أبو نصر محمد طرخان بن أوزلغ (1890-1892م): الثمرة المرضية في بعض الرسائل الفارابية. ليدن.
- الفيومي: ، أحمد بن محمد بن علي (1425 هـ- 2004م): المصباح المنبر، تحقيق يوسف الشيخ محمد، صيدا، بيروت، لبنان، المكتبة العصرية
- قاسم ، محمود (دت): في النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام ، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية.
- مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري (1347 هـ، 1929م): صحيح مسلم : بشرح النووي، ط1، المطبعة المصرية الأزهر.
- النشار، سامي (1995م): نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ، طبعته دار المعارف.
- بيدوع ، سمية (2009م): فلسفة الجسد، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

ب-الأجنبية:

- Richeler . C. (1983):Le corps et ses fictions.